فهما امامه اى بين يديه ثم قال وان وراءكم الساعة
الموت وانما جعل ذلك اماما لان الانسان كالسائر الى الموت او كالسائر الى الجزاء
تحدوكم اى تسوقكم وانما جعلها وراءنا لانها اذا وجدت ساقت الناس الى موقف الجزاء كما يسوق الراعى الابل فلما كانت سائقة لنا
كانت كالشىء يحفز الانسان من خلفه ويحركه من ورائه الى جهة ما بين يديه ولا يجوز ان يقول انما سماها وراءنا لانها تكون بعد
موتنا وخروجنا من الدنيا وذلك ان الثواب والعقاب هذا شأنهما وقد جعلهما امامنا واما القطب الراوندى فانه قال معنى
قوله فان الغاية امامكم يعنى ان الجنة والنار خلفكم ومعنى قوله وراءكم الساعة اى قدامكم ولقايل ان يقول اما الورآء بمعنى
القدام فقد ورد ولكن ما ورد امام بمعنى خلف ولا سمعنا ذلك واما قوله تخففوا تلحقوا فاصله الرجل يسعى او هو غير مثقل
بما يحمله يكون اجدر ان يلحق الفرط الذين سبقوه ومثله قوله نجا المخففون وقوله فانما ينتظر باولكم اخركم يريد انما ينتظر ببعث
الذين ماتوا فى اول الدهر مجى الذين يخلقون ويموتون فى آخره كامير يريد اعطاء جنده اذا تكامل عرضهم انما يعطى الاول منهم اذا
انتهى عرض الاخير وهذا كلام فصيح جدا والغور العمق والنطفة ما صفا من الماء وما انقع هذا الماء اى ما ارواه للعطش
ومن خطبة له عليه السلام الا وان الشيطان قد ذمر حزبه واستجلب جلبه ليعود الجور الى اوطانه ويرجع الباطل الى نصابه والله ما انكروا
علىّ منكرا ولا جعلوا بينى وبينهم نصفا وانهم ليطلبون حقا هم تركوه ودما هم سفكوه فلئن كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم
منه ولئن كانوا ولوه دونى فما التبعة الا عندهم وان اعظم حجتهم لعلى انفسهم يرتضعون اما قد فطمت ويحيون بدعة قد اميتت
يا خيبة الداعى من دعى والى ما اجيب وانى لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم فان ابوا اعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا
من الباطل وناصرا للحق ومن العجب بعثهم الىّ ان ابرز للطعان وان اصبر للجلاد هبلتهم الهبول لقد كنت وما اهدد
بالحرب ولا ارهب بالضرب وانى لعلى يقين من ربى وغير شبهة من دينى الشرح يروى ذمر بالتخفيف وذمّر بالتشديد واصله
الحض والحث والتشديد دليل على التكثير واستجلب جلبه الجلب بفتح اللام ما يجلب كما يقول جمع جمعه ويروى جلبه وجلبه
وهما بمعنى وهو السحاب الرقيق الذى لا ماء فيه اى جمع قوما كالجهام الذى لا نفع فيه وروى ليعود الجور الى قطابه والقطاب مزاج
الخمر بالماء اى ليعود الجور ممتزجا بالعدل كما كان ويجوز ان يعنى بالقطاب قطاب الجيب وهو مدخل الراس فيه اى ليعود الجور الى
لباسه وثوبه وقال الراوندى قطابه اصله وليس ذلك بمعروف فى اللغة وروى الباطل بالنصب على ان يكون يرجع متعديا
يقول رجعت زيدا الى كذا والمعنى ويرد الجور الباطل الى اوطانه وقال الراوندى يعود ايضا مثل يرجع يكون لازما ومتعديا ولهذا
نصب الجور به وهذا غير صحيح لان عاد لم يأت متعديا وانما يعدى بالهمزة والنصف الذى ينصف وقال الراوندى النصف النصفة
والمعنى لا يحتمله لانه لا معنى لقوله ولا جعلوا بينى وبينهم انصافا بل المعنى لم يجعلوا ذا انصاف بينى وبينهم وقوله يرتضعون اما
قد فطمت يقول يطلبون الشىء بعد فواته لان الام اذا فطمت ولدها فقد انقضى ارضاعها وقوله يا خيبة الداعى ههنا كالنداء
فى قوله تعالى يا حسرة على العباد وقوله تعالى يا حسرتنا على ما فرطنا فيها اى يا خيبة احضرى فهذا اوانك وكلامه فى هذه الخطبة مع
اصحاب الجمل والداعى هو احد الثلاثة الرجلان والمرأة ثم قال على سبيل الاستصغار لهم والاستحقار من دعا والى ما ذا
اجيب اى احقر بقوم دعاهم هذا الداعى واقبح بالامر الذى اجابوه اليه فما افحشه واذله وقال الراوندى يا خيبة الداعى
تقديره يا هؤلاء فحذف المنادى ثم قال خيبة الداعى اى خاب الداعى خيبة وهذا ارتكاب ضرورة لا حاجة اليها وانما يحذف
المنادى فى المواضع التى دل الدليل عليها على الحذف كقوله يا فانظر اين الوادى على اضم وايضا فان المصدر الذى لا عامل
فيه غير جايز وتقدير حذف فعل تقدير ما لا دليل عليه وهبلته امه ثكلته بكسر الباء وقوله لقد كنت وما اهدد بالحرب معناه
ما زلت لا اهدد بالحرب والواو زائدة وهذه كلمة فصيحة كثيرا ما يستعملها العرب وقد ورد فى القرآن العزيز كان بمعنى ما زال
فى قوله وكان الله عليما حكيما ونحو ذلك من الاى معنى ذلك لم يزل الله عليما حكيما والذى تأوله المرتضى رحمه الله عليه فى تكملة
الغرر والدرر كلام متكلف والوجه الصحيح ما ذكرناه وهذه الخطبة ليست من خطب صفين كما ذكره الراوندى بل من خطب
الجمل وقد ذكر كثيرا منها ابو مخنف رحمه الله قال حدثنا مسافر بن عفيف بن ابى الاخنس قال لما رجعت رسل على عليه السلام من عند طلحة والزبير
وعايشة يؤذنونه بالحرب قام فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسوله ثم قال ايها الناس انى قد راقبت هؤلاء القوم كى يرعووا
او يرجعوا ووبختهم بنكثهم وعرفتهم بغيهم فلم يستحيوا وقد بعثوا الىّ ان ابرز للطعان واصبر للجلاد انما تمنيك نفسك امانى

الباطل وتعدك الغرور الا هبلتهم الهبول لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب ولقد انصف القادة من راماها
فليرعدوا وليبرقوا فقد رأونى قديما وعرفوا نكايتى فكيف رأونى انا ابو الحسن الذى فللت حد المشركين وفرقت جماعتهم
وبذلك القلب القى عدوى اليوم وانى لعلى ما وعدنى ربى من النصر والتأييد وعلى يقين من امرى وفى غير شبهة من دينى
ايها الناس ان الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب ليس عن الموت محيد ولا محيص من لم يقتل مات ان افضل الموت
القتل والذى نفس على بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موتة واحدة على الفراش اللهم ان طلحة نكث بيعتى والب على
عثمان حتى قتله ثم عضهنى به ورمانى اللهم فلا تمهله اللهم فلا تمهله اللهم ان الزبير قطع رحمى ونكث بيعتى وظاهر
علىّ عدوى فاكفنيه اليوم بما شئت ثم نزل واعلم ان كلام امير المؤمنين عليه السلام وكلام اصحابه وعماله فى واقعة الجمل كله يدور
على هذه المعانى التى اشتملت عليها الفاظ هذا الفصل فمن ذلك الخطبة التى رواها ابو الحسن على بن محمد المداينى عن عبد الله
بن جنادة قال قدمت من الحجاز اريد العراق فى اول امارة على عليه السلام فمررت بمكة فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد رسول
الله صلى الله عليه وآله اذ نودى الصلوة جامعة فاجتمع الناس وخرج على عليه السلام متقلدا سيفه فشخصت الابصار نحوه فحمد الله واثنى
عليه وصلى على رسوله ثم قال اما بعد فانه لما قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله قلنا نحن اهله وورثته وعترته واولياؤه
دون الناس لا ينازعنا سلطانه احد ولا يطمع فى حقنا طامع اذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا فصارت الامرة لغيرنا
وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل فبكت الاعين منا لذلك وخشنت الصدور وجزعت النفوس وايم
الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وان يعود الكفر ويبور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه فولى الامر ولاة لم يألوا الناس
خيرا ثم استخرجتمونى ايها الناس من بيتى فبايعتمونى على شين منى لامركم وفراسة تصدقنى ما فى قلوب كثير منكم وبايعنى هذان
الرجلان فى اول من بايع يعلمون ذلك وقد نكثا وغدرا ونهضا الى البصرة بعايشة ليفرقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم اللهم
فخذهما بما عملا اخذة رابية ولا تنعش لهما صرعة ولا تقل لهما عثرة ولا تمهلهما فواقا فانهما يطلبان حقا تركاه ودما سفكاه اللهم
انى اقتضيك وعدك الحق فانك قلت وقولك الحق لمن بغى عليه لينصرنه الله اللهم فانجز لى موعدى ولا تكلنى الى نفسى
انك على كل شىء قدير ثم نزل وروى الكلبى قال لما اراد على عليه السلام المسير الى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد ان حمد الله وصلى على رسوله
ان الله لما قبض نبيه استأثرت علينا قريش بالامر ودفعتنا عن حق نحن احق به من الناس كافة فرأيت ان الصبر على ذلك افضل
من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم والناس حديثو عهد بالاسلام والدين يمخض مخض الوطب يفسده ادنى وهن ويعكسه
اقل خلف فولى الامر قوم لم يألوا فى امرهم اجتهادا ثم انتقلوا الى دار الجزاء والله ولى تمحيص سيئاتهم والعفو عن هفواتهم فما بال طلحة
والزبير وليسا من هذا الامر بسبيل لم يصبرا علىّ حولا ولا شهرا حتى وثبا ومرقا ونازعانى امرا لم يجعل الله لهما اليه سبيلا بعد ان
بايعا طائعين غير مكرهين يرتضعان اما قد فطمت ويحييان بدعة قد اميتت ادم عثمان زعما والله ما التبعة الا عندهم
وفيهم وان اعظم حجتهم لعلى انفسهم وانا راض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم فان فاءا وانابا فحظهما احرزا وانفسهما غنما واعظم
بها غنيمة وان ابيا اعطيتهما حد السيف وكفى به ناصرا لحق وشافيا من باطل ثم نزل وروى ابو مخنف عن زيد بن صوحان
قال شهدت عليا عليه السلام بذى قار وهو معتم بعمامة سوداء ملتف بساج يخطب فقال فى خطبته الحمد لله على كل امر وحال فى الغدو
والآصال واشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله ابتعثه رحمة للعباد وحياة للبلاد حين امتلأت الارض فتنة
واضطرب حبلها وعبد الشيطان فى اكنافها واشتمل عدو الله ابليس على عقائد اهلها فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذى
اطفأ الله به نيرانها واخمد به شرارها ونزع به اوتادها واقام به ميلها امام الهدى والنبى المصطفى صلى الله عليه وآله
فلقد صدع بما امر به وبلغ رسالات ربه فاصلح الله به ذات البين وامن به السبل وحقن به الدماء والف به بين ذوى
الضغائن الواغرة فى الصدور حتى اتاه اليقين ثم قبضه الله اليه حميدا ثم استخلف الناس ابا بكر فلم يأل جهده ثم استخلف
الناس عمر فلم يأل جهده ثم استخلف الناس عثمن فنال منكم ونلتم منه حتى اذا كان من امره ما كان اتيتمونى لتبايعونى فقلت لا حاجة لى فى ذلك ودخلت منزلى
فاستخرجتمونى فقبضت يدى فبسطتموها وتداككتم علىّ حتى ظننت انكم قاتلىّ وان بعضكم قاتل بعض فبايعتمونى وانا غير مسرور بذلك
ولا جذل وقد علم الله سبحانه انى كنت كارها للحكومة بين امة محمد عليه السلام ولقد سمعته صلى الله عليه وآله يقول ما من وال يلى شيئا

Copyright ... University